حوارات

نشرة حوارية معنية بقضايا الفكر والثقافة
والسياسة والتنظم • تصدر عن الحزب الشيوعي السوري.

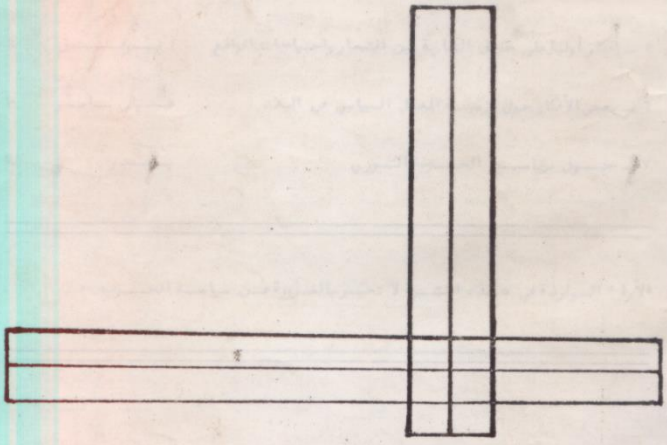

العدد : صفر تموز ١٩٩٢ ثمن العدد : ٢٥ ل.س

المحتويات

أ - دعوة الى حوار مكتوب	حوارات	٢
٢ - ويبقى الواقع أولاً	باسل	٤
٣ - كلمة أولى على طريق الحوار		٨
٤ - مقدمات للنقاش	أبو حسين	١٠
٥ - أفكار أولية على طريق المقاربة بين الشعار واحتياجات الواقع	موفق	١٤
٦ - بعض الأفكار حول أزمة العمل السياسي في البلاد	عدنان ناصر	٢٠
٧ - حول برنامج الحزب الثوري	بدر	٢٤

الآراء الواردة في هذه النشرة لا تعبر بالضرورة عن سياسة الحزب .

دعـــوة الى حـــوار مكتـــوب

((حـوارات)) هو الاسـم الـذي جـرى اختياره لنشـرة حوارية نضع عددها الأول بين أيديكم ، وكلنا أمل في أن تأتي بضامين هذا العدد والأعداد اللاحقة منسجمة مع هـذا الاسم ومليبة للغاية المرتجـاة والهدف المنشـود .

واذا كانت قناعتنا كبيرة في أن تحقيق مثل هذه الآمال لايتوقف على ارادة ورغبات القائمين على اصـدار النشرة ، فان قناعتنا أكبر في أن الضمانة الأهم ، لكي تأتي مضامين الأعداد منسجمة مع الاسم المحمول ومع الغاية والهدف ، هي في أن تتوسع دائرة المهتمين بحضانة النشـرة وبالعمل على إكسابها تدريجياً القوام والجـوهر اللذين يقتربان أكثر فأكثر من حالة الانسجام هذه ، ومن حالة التطلع الى رؤية وتلمس شبر حـواري ديمقراطي يسعى الى الرأي الآخـر والى الرأي المغـاير ، وكلاهما يسعيان اليه ، سعياً تمليه قناعة لا عودة عنها في أن التنـوع والاختلاف وتعدد الآرا ، هي من المسـائل التي لا غنى عنها في سبيل تطور الحياة ، وتقـدم الشـعوب والأمم ، وفي سبيل تحررها وتوحدها .

ونحن اذ كنا نتوجـه بالدعوة الى قيادات الحزب وكوادره وأعضائه للبدء بحـوار مكتـوب وعلني ومن على صـفحات ((حـوارات)) حـول جميع المسـائل الراهنة والمستقبلية ، وتلـك التي على علاقة بالماضي وبالأمس القريب ، فان مانرجـوه أن تلاقي دعوتنا هذه الاهتمام الـذي تستحق والاستجابة المطلوبة ، وأن نكـون بذلك قـد لبينا حاجـة ملحة وضرورة عبر عنها الكثيرون في مناسبات عـدة .

كما نتوجـه بالدعـوة الى جميع المشتغلين والمهتمين بالحقل الوطني والديمقراطي ، وفي أي موقع كانوا ولأي تيار كان انتماؤهم ، أن يشاركونا الحـوار حـول شتى المسائل التـي يرتؤون المشاركة فيهـا .

فـ ((حـوارات)) نشـوة تغتني بمساهماتكم ، وتسعى الى آرائكم التي ستبقـى تنتظرها وتبحث عنها بدءاً من عددها الأول ، وتضع لنفسها ثلاثة أركان أساسية فـي تعاملها مع المواد والمواضيع المقدمة اليها : الأول : حد أدنى من الصياغـة يسمح بالنشر . الثاني : الابتعاد عن القدح والذم والمهاترات في المواد المقدمـة للنشر . الثالث : الأخذ بعين الاعتبار أننا لازلنا نعمل في ظروف استثنائية تستدعي حرصاً أمنياً وتنظيمياً يجب مراعاتهما حين التطرق الى مسائل على علاقة بهذه الجـوانب .

واذا كنا في ((حـوارات)) ندرك الصعاب التي سـوف تعترض عملنا بخصـوصاً

تلك التي ترتبها الأوضاع الاستثنائية المفروضة على البلد منذ ثلاثة عقود ، واذا كنا متطلعين الى إصدار نشرة حوارية في ظـروف غير طبيعيـة ، فان تطلعنا يبقى دائماً باتجـاه يـوم مقبل ، نسعى اليه ونعمل من أجـله مع كل الوطنيين الديمقراطيين في هذا البلد ، وفي غيره مـن البلدان يُرفـع فيه حـالة الطـوارئ وتُلغى الأحكام العرفية ، ويخـرج من السجـون والمعتقلات جميع المـوقوفين بسبب آرائهم وأفكارهم ومعتقداتهم .. اليوم الذي تخرج فيه ((حـوارات)) من الظلمة الى النـور ، لتؤدي رسالتها في وضح النهار ، وبلا اسم مستعار ، يكتب فيها من يشاء ، ويقرأها من يشاء ، ينتقدها ويدافع عنها من يشاء . فالعار كل العار أن تُوصَد أبواب السجون وأن تُغلَق أبواب الحـوار .

واذا كانت ((حـوارات)) نشـرة تصدر عن الحزب الشيوعي السوري ، فلأنها نشـرة حوارية ، هكذا تبدأ وهكذا تطمح أن تستمر . وما سوف يُنشر على صفحاتها هو بغرض إثارة الحـوار وافشائه على طريق إعادة النظر المستمرة والتجديد الشواميل بكل الأمور ولكل المسائل ، حيث الوقائع مستجدة والواقع عامر بالحركـة .

واذا كان الهدف هو اعادة نظر بمختلف جـوانب العمل الحزبي والوطني الديمقراطي عموماً على طريق إعادة تأسيس هذا وذاك بما يستوجب ويلبي التطورات الحاصلة والمتغيرات المستمرة على صعيد العالم ، وما تتركـه من إنعكاسات على أوضاعنا العربية والمحليـة ، فإن ((حـوارات)) تسعى لكي تأخذ لها مكاناً تستطيع من خلاله المساهمة فـي مقاربـة الهـدف المنشـود .

ويبقى الواقع أولاً

البداية هي دائماً في إكتشاف الواقع، ومن ثم يأتي دور النظرية التي تفسره وترسم الطريق لتغييره، ثم يأتي التنظيم أداة تحقيق التغيير من خلال التفاعل بين الواقع والنظرية، الذي هدفه محدد بتحقيق حاجات ومصالح المجتمع، وفقاً لكل مرحلة من مراحل التطور، هذا التحقيق الذي لا غنى فيه عن حامل له، طبقة، شعب، حسب أهداف المرحلة. كما لا غنى فيه عن تفاعل ديناميكي بين التكتيكي والاستراتيجي بين الثانوي والاساسي بين العام والخاص ... الخ.

وأي قصور إذا غاب هذا الفهم لعلاقة الواقع بالنظرية وبالحزب ودوره وحوامل سياساته من قوى المجتمع والممارسة التي تترابط فيها الخطوة بالعمل بالهدف الكبير يفقد الحزب مفهومه ومشروعية حركته. حتى نوادي المناقشة تصبح أكثر جدوى منه.

فبدون الاستناد الذكي والصادق للواقع ليست هناك سياسة صحيحة. والافتراق الذي نعاني منه منذ سنوات حتى قبل انقسام عام ١٩٧٢ وكذلك بُعيد المؤتمر الرابع ومن ثم الخامس، سببه ابتعادنا عن الواقع والاهتمام برسم السياسة والبرامج بدون التعبير الصحيح عنه وعن حاجات حوامل برامجنا، لقد تخلى الحزب عن دوره التاريخي كحامل لرسالة الثورة الاجتماعية بأبعادها المحلية والقومية والتحق بذيل النظام وكل سياساته وشعاراته لا رضا النظام. ثم بعد منتصف السبعينات بدأنا نشق طريقاً مستقلاً تزايدت استقلاليته حتى عام ١٩٨٠ حيث أصبحنا وسط المعارضة.

نحن ماهرون جداً بيد بسج الرسائيل وطرح التساؤلات. ولكننا نتناسى الواقع ونتناسى تاريخنا وتاريخ الحركة السياسية في وطننا وفي غيره من البلدان. سؤال يطرح نفسه بهذا الصدد، لماذا الأصوليون بلا برامج ولا أدلجة يكسبون الشارع؟ لا يكفي أن نقول أنهم ليسوا بحاجة لذلك فالتراث في خدمتهم. الصحيح أنهم يمسكون التناقض ويتصدون لحله مهما كلفهم ذلك.

والناس تلتف حول أفعالهم وليس حول برامجهم، وكل من يمعن الفكر في حركتهم ويصل الى ماذا سيحققون لو نجحوا يتراجع، على الأغلب عن الالتفاف حولهم، وهذا من أسباب خساراتهم.

السؤال الجوهري من نحن .. من نمثل .. م تتشكل قواعدنا، حوامل خطنا، خاصة ونحن نحمل عنوان حزب ماركسي ؟ .. أحياناً يذهب خطنا السياسي باتجاه قوى يعبر أكثر مباشرة عن مصالحها من قوانا في وقت بلها تعبيراتها ولا تؤمن بنا بديلاً عنها.

فتخسر قوانا ولا تحقق كسباً في الجهة الأخرى.

من هنا أقول ان الشكوى من قصور الحزب أو فيما سمي لاحقاً بتخلف التنظيم عن الخط السياسي، مسألة قديمة جديدة، سببها عدم دراستنا وفهمنا للواقع. سؤال مشروع يطرح نفسه هنا بالحاح، لماذا ليس لدينا مفكرون، لماذا لا توجد لدينا مجرد مشاريع دراسة للخرائط السورية، الاجتماعية، القومية، الطائفية، الاقتصادية، السياسية ؟ .. نحن نطرح خطأ فيه جانب كبير من الصواب. ونمسك بحلقات أساسية جيدة، خاصة منذ المؤتمر الخامس. أهمها، الديمقراطية، ربط الديمقراطية بالمشروع القومي هنا، دولة الأمة، تحقيق تطور قومي اجتماعي سمته فك السير نحو الاشتراكية. لكن بدون أن نحدد حوامل هذا الخط بوضوح. لقد أعد تقرير عندنا منذ أوائل الثمانينات حول التركيب الطبقي لدينا، يتبين أن بنية التنظيم تشمل على أكثر من ٦٥٪ من البورجوازية الصغيرة وقطاع الطلبة. وبقية الرفاق عمال حرفيون وفلاحون لا يملكون أي اعداد فكري أو سياسي .. لذا أقول هل من المعقول في بلد فيه مليون عامل بينهم أكثر من الربع في الصناعات والمراكز الصناعية الكبرى ولا يوجد لنا قواعد فيها بينهم، وان وجد أفراد لا نعرف كيف ندير جهودهم ؟ . أنا مع المقولة التي يستند اليها الحزب بأن سياسة الأمس القريب واليوم، ولمستقبل غير قصير، والتي تعتبر أن أغلبية الشعب هي حاملة خطنا وخط أحزاب التجمع، والتناقض الأساسي قائم بين القلة في قمة السلطة والشعب. لكن هذا لا ينفي أن نتذكر دائماً أن العمال والفلاحين وجمهور الطلبة والبورجوازية الصغيرة من مثقفين وغيرهم، هم الحامل الرئيسي للخط السياسي وللفعل الذي يحقق حل هذا التناقض.

وعليه أقول ان تخلف التنظيم عن السياسة يتجسد بالفعل بتخلف العمل الفكري عندنا عن الهيمنة، هذا أولاً، ومن ثم تخلف الممارسة عن التوجهات السياسية. ويبقى هذا صحيحاً رغم كل ظروف القمع والقهر والسجون. الحزب الثوري والطليعي هو الحزب الذي يبدع الممارسات والفرص لتحقيق سياساته وتحقيق انتصاره وعلى الأخص في ظروف المحن.

لقد وقعنا في كثير من التخبطات وتراجعنا .. حتى قبل القمع تراجعنا وليس بعده. لأن السلطة التي نريدها ليست سلطة نخبة أو قادة بل سلطة تعبئ بيني أمة، سلطة تشق الطريق لانسانية واشتراكية غير ثيوزوف موسكو وبكين، نموزجنا نحن، بأسلوبنا المستند الى تراثنا، الى غنى تجارب شعبنا، الى تحالفات عريضة، لكن ظل السؤال، هذه التحالفات بما فيها نحن نمثل من. أتصور هنا يتحدد المحور الأساسي لفهم عدم ديناميكية التنظيم وتطوره وإخفاقه للخط السياسي. هذا جانب. ومن جانب آخر لا يستحق خطنا

السياسي فحصاً لأولياته ؟ .. لقد قرأت منذ مدة قريبة للحزب طروحات فيها تعديل ملموس لطروحاتنا عام ١٩٨٠ - ١٩٨٢ . فيها نضج وعمق وتبشر بالخير لكنها تحتاج الى عمق أكثر .

وفي تقديري أن من أسباب تخلفنا وضعفنا بعدا القمع وآثاره ،عدم عقد المؤتمر ، علماً أن المؤتمر كان بامكانه حل التناقض بين التنظيم والخط السياسي بتصحيح أحدهما أو كليهما ،شرط أن تتاح مقدمات ديمقراطية وهيئوية لانعقاده . كما أن من أسباب ضعفنا حجم القصور في حركة الحلفا ، وضعف تضامنهم مع الحزب في ظروف القمع .

ولنكن أكثر صدقا مع الذات ان من أسباب ضعفنا التنظيمي أيضاً ،أو تخلفنا التنظيمي ،هو ضعف خطنا السياسي وتخلفه في بعض الأمور . وعلى الأخص فيما يتعلق بالتكتيك سوا . تعاملنا مع أزمة عام ١٩٨٠ أو فيما بعدها . نعم لقد واجهنا القمع بشرف ورجولة دفاعاً عن حق شعبنا بوجه تغشي القمع والقهر واغراقه البلاد في سواد الظلم المنفلت، لكن كيف كان يمكن التعامل مع الأحداث . هل فقط بما قمنا به .. ألم يكن هناك اسلوب أفضل ولو قمعنا رغم ذلك ؟ اعتقد لقد توقف ذلك مراراً قبل حملة تشرين ١٩٨٠ وبعد ذلك مرات عدة . وكما ذكرت أقرأ الآن نتائجاً لمعاناة سياسية وفكرية مريرة ،ليته نضج وطرح قبل الآن والأصح في وقته كما طالبنا بذلك قبل عشر سنوات .

نحن نحتاج الى صحوة فكرية تصحح وتقوي باستمرار خطنا السياسي الذي تبلور مع الزمن وأصبح الآن خط شعبنا وأمتنا . وهو مجال اعتزازنا أمام العالم . وهو جدار قوة لنا أمام السلطة وأمام كل الخصوم . ولاشك أن الجانب الايجابي في التغيرات الدولية ،فيما يتعلق باشاعة الديمقراطية وحقوق الانسان سيعزز من امكانياتنا ،لكن ليس اتوماتيكياً بل بجهد منظم وصلات مستمرة وقوية مع القوى العالمية المعنية بصدق بهذه المسألة . كما أننا نحتاج الى روح عملية في حركتنا اليومية . والتوجه مباشرة الى الناس في مختلف القطاعات ،ان طرحنا جيد وسليم ويكسب بسرعة عقول وقلوب معظم أبنا ، شعبنا ، والعمل على خلق فرص ،وتوظيفها ان وجدت عفوياً ، لشق الطريق أمام نهوض جديد .

لقد قاربت الوثيقة الحقيقة ، اذ ذكرت أن الكل في البلاد يتطلع الى التغيير حتى السلطة تفكر وترسل اشارات الى امكانية نشو حركة معارضة ((لطيفة)) بدون المساس بها . وهناك نقاط عديدة تشير الى ذلك . وفي اعتقادي أنه لن يتحقق ذلك بقدر يسمح لتحقيق مانريد الا بتجنيد قوى المعارضة الديمقراطية والبد ، بممارسة المعارضة العلنية تدريجياً حتى يتحقق كم من تراكم الممارسات يضع السلطة أمام مشهد سياسي

داخلي مدعوم خارجياً لايمكن شطبه بجرة قلم كما حصل عام ١٩٨٠.

أي أننا نحتاج الى جهد ذاتي وتحالف داخلي وخارجي لكسر حاجز الخوف وتحقيق نهوض لاعودة عنه . وهذا ولاشك يحتاج الى مرونة أي الى اعادة النظر في لغتنا السياسية بما يتناسب وغاياتنا وليس على حسابها . نحن بحاجة الى تعابير وصيغ نقدية معارضة غير مستفزة ،لكنها صادقة وجادة وجريئة .

وفي هذا العدد لا بد للمعارضة الديمقراطية من حقنها بطاقات جديدة ، أولها تراص لحمتها السياسية والتنظيمية وتنشيط الاعلام والتوجه من قبل كل فصيل لقواعد وجمهوره ضمن برامج محددة لتحركها بهدف جذب المواطن العادي الى الحد الأدنى من السياسة .

باسل

كلمة أولى على طريق الحوار

ان البحث في الواقع التنظيمي دون الغوص في أعماقه في مرحلة حافلة بالمنعطفات التاريخية كالتي نمر بها ، هو بمثابة إخفاء للرأس في الرمال واستمرار في العناد و ((الصلابة)) أمام الوقائع الجديدة ، والجديدة كلياً .

أولاً -

لقد طرحت التطورات العاصفة مسألة الحزب من جديد ، وفي الجذور ، فهي فيما تمثله من ((هزيمة)) لقضية الاشتراكية تخفي أيضاً - وبشكل من الاشكال قد تغلفه المرارة مع الخيبة والحذر ، - هزيمة للفكر السائد على هذه الجبهة ، ثم تمتد حتى تنال من الحزب بمفهومه ومنطوقه ، وبنظريته وأسس تنظيمه أيضاً .

فما بين ((عصبة الشيوعيين)) ، ثم ((المجلس العالمي للأممية)) - الأممية الأولى - ثم الأممية الثانية وانفراطها المدوي أمام نظرية الحزب الثوري اللينينية - الحزب من طراز جديد - ، والمنظم على أساس المركزية الديمقراطية وجوهرها الذي ازداد رسوخاً فيما بعد - الانضباط الحديدي - .. ما بين معالم هذا المسار مرت محطات عديدة ، منها الذي فشل في مسألة السلطة واستمر في الوجود السياسي - الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية - ، ومنها من نجح في الوصول الى السلطة واستمر أيضاً في الوجود السياسي ، ولكنه انتهى الى وضعه الحالي ، وأنهى ((السلطة)) الى ما انتهت عليه ، مع مايعنيه ذلك من مسؤولية تاريخية عن أبرز ضحاياها - في العالم الثالث - .

ان ((المزاج العصبي)) أمام جسامة الأحداث ليس حلاً ولا مخرجاً أو مدخلاً ... ان كل مايعنيه هو العزلة في حالة أفرزت اللامبالاة والخدر والاستمرار بقوة العطالة والاستمرارية الباردة ((أو البليدة ؟)) .. كما ان مايعنيه هذا المزاج هو الاستسلام لفكرة الهزيمة - حتى على المستوى الفردي - والكفر ليس بقضية الشيوعية وحدها ، بل بكافة القيم .

لذلك يجب طرح مسألة الحزب ومفهومه وأسس تنظيمه التي تكون جديرة بتخطي الواقع نحو المستقبل السريع التقدم .

وليس ممكناً الآن إلا اثارة السؤال .. والغوص في الأفكار القديمة ، ومحاولة ابداع الجديد والممكن ، وهذا من أهم مهام الفترة القادمة .

ثانياً -

لم يعد هناك ما يبرر الاستمرار على اسم ((الحزب الشيوعي)) إلا فكرة تسليم ((الأمانة)) لأهلها المعانين وراء القضبان بكافة مقوماتها التي تركوها عليها . ان هذه الفكرة نبيلة حقاً ، إلا أن التطورات تكاد تسبقنا ، ونخشى أن تصبح مسألة تغيير الاسم عديمة الفائدة بعد حين .

فهنالك أولاً ثلاثة أحزاب تحمل الاسم ذاته ، ومبرر سخيف ذاك الذي يتعلل بالشرعية التاريخية والأحقية بحمل الاسم . ولا يربطنا مع هذه الأحزاب الأخرى الا هذا الاسم الذي يكاد يصبح ((تهمة)) في هذه الحال .

وعلى جدارة هذا الاسم وجلالته ، والقناعة بأنه يحمل أسمى فكرة عبر التاريخ ((الشيوعية)) ، ومع التمسك بها كحلم لن يفارق رؤوسنا أو مسار عملنا المستمر ، الآن الاسم أصبح يرتبط بالمشروع الذي هزم ، كما ارتبط في البدء بمشروع قد انتصر لتوه . وليس من الخطأ العودة الى حيث كنا ، أو الى حيث تتطلبه المرحلة الحالية . ان الحزب يرتبط بالوطن وبالديمقراطية والتقدم الاجتماعي وبالاشتراكية . وليكن اسمه شيئاً وعداً من أهم هذه المسائل وأكثرها ديناميكية سياسية .

وليس ما سبق اقتراحاً محدداً بل هو طرح للنقاش لمسألة ضرورية يجب البدء بها - ليس بشكل متسرع كهذه العجالة - بل بالتداول الذي يحاول الابداع والتأسيس من جديد .

ثالثاً -

هي دعوة أخيرة للمراجعة الفكرية التامة ... فلتبق الثوابت الحية والبرامج المحركة على ما هي عليه - ولو مؤقتاً - مع تحريك شامل للنظر في الأعماق ... - الماركسية - ، اللينينية ، - الماركسية اللسنينية - مع محاولة دراسة الأحداث على كرتنا الأرضية عموماً ، والأكثر اقتراباً من مسألتنا العالمثالثية التي لا نعجز من خلالها عن التقدم وحسب ، بل نتركها حتى الآن على شفير الهاوية اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً .. وسياسياً .

هل هي دعوة مستعجلة - ربما - ، ولكننا نكاد نتخلف عمن نتعتهم بالتخلف في هذا الميدان .

مقدمات للنقاش

هل كان ينبغي على الحركة الشيوعية العالمية أن تنتظر حتى ينهار المعسكر الشرقي ومعه الاتحاد السوفييتي لكي تُعيد النظر بجمل قضايا الفكر والسياسة والتنظيم التي قامت عليها ؟! .

في الواقع، هذا ما حصل . فالحصار الذي فرضته ظروف الطغيان الكلي لمؤسسة السيطرة العالمية (على مختلف مسمياتها) ، أجهضت كل محاولات الفكاك من الأسر على مختلف الأصعدة الفكرية والسياسية والدولتية خلال حقبة الستة التي امتدت على أرباع هذا القرن ، أخضعت السلطة مركزيه بطاقة ، حالت بينها وبين التعبير عن نفسها أو التمايز والاختلاف ولو داخل أطر الوحدة ذاتها . شواهدنا على ذلك أكثر من أن تعد، فبدءاً من انشقاق الاممية ، واعتماد اللينينية كجزء مكمل للماركسية ، والتصفيات الدموية الستالينية ، وأحداث المجر ، والخلاف الصيني - السوفييتي ، وربيع براغ ، والنجاح المبهر في تطويع برامج وسياسات معظم الأحزاب الشيوعية في العالم وتجييرها لصالح ((الخط العام)) .. .. الخ القائمة التي لم تكن تنتهي حتى تطيح ((بالملك والملكة)) على حد سواء .

والحق ، فإن محاولات الخروج عن الطاعة بمختلف أشكالها ومستوياتها - حتى الفردية منها - كانت ، إما أن تعاد الى الحظيرة قسراً أو تؤدي الى الانقسام والتكتل ، واشتعال نار الحرب (بما فيها حرب الحدود) ، أو الى العزلة الفكرية والسياسية والتنظيمية (وما يرافقها من أخص أنواع التشهير والاتهام) .. هذا اذا لم تفلح القوة . وبين هذا وذاك ، كانت أوضاع الحركة الشيوعية ترتحل عبر الزمن من أزمة الى أخرى ، ومن ضعف الى ضعف آخر وتفسخ ، منتجة دورة جديدة من الانحطاط والجمود الفكري والسياسي .

أما الأحزاب الشيوعية التي ارتهنت الى هذه الحال ، وتخلت عن عالمها الخاص مذيبة نفسها في عالم الكل ولصالحه ، فقد أعطت مثالاً للاستلاب والتبعية ، ضاعت رجعية بلدان عالم ((الأطراف)) .. أو عالم حركات التحرر ، ومع ذلك (بل ولذلك) ، فلم تنجُ بدورها من التشرذم والاقتتال على الرغم من حصافة ((الأمين العام)) ، ومركزيته الديمقراطية .

* * *

لاشك أن الارتجاج كبير . وبوسعنا أن نسمع هدير العاصفة ، ونرى بأم أعيننا

وقولنا حجم الدمار الذي أوقعته بنا هزيمة هذا الصرح الضخم الذي شيدته سواعد وعقول ، ودماء الملايين من البشر . ولهذا فليس من دون صد تلك النداءات التي تطلقها البشرية بأسرها ، مُدينة ، ومحذرة ، ومطالبة بالرد ومراجعة التجربة ؛ (لاحظ هنا ((تجربة)) - ملايين البشر قضت ، وبلدان بأسرها دمرت ..... ، وأخضعت أخرى لبدولها وأسيها وثرواتها .. ومع ذلك نقول بدم بارد : تجربة) ، لبنا ، جديد ، ومواجهة جديدة مع الامبريالية وقوى الاستغلال والعدوان والرجعية والحرب ... الخ ، وهذا صحيح مئة بالمئة ، ولا تحفظ لنا عليه ، سيما وأن لنا في الحزب الشيوعي في سوريا باع طويل في هذا الميدان ، دفعنا ثمنه غالياً ، ومازال مستمراً حتى اليوم على الرغم من أن ((البعض)) لازال متقوقعاً في «شرنقته» لا يكل عن ترداد مؤامرة! مؤامرة !! دون أن يسأل أو يتساءل عن دور لعلائق ومفاعيل البنية الداخلية للحركة الشيوعية أحزاباً ، ودولاً ، وحركات تحرر في هذه الهزيمة / الانهيار . لكأن التاريخ كل تاريخ .. تصنعه المؤامرات وحسب !!

يجدر بنا أن نخفف حرارة خطابنا ، ونعود الى العقل والدم ((الباردين)) لمراجعة ((التجربة)) ، ولكننا قبل ذلك نود أن نشير الى حالة الاستلاب الجديدة التي تفرضها علينا الهزيمة هذه المرة بعد أن ((تخلصنا)) من استلاب قديم أبحرنا معه طوال عمر ((التجربة)) . هذه ملاحظة ، وملاحظة أخرى ، أن هذا الاستلاب والتبعية قد أبعدنا عن حقول المعرفة ، وانتاجها كماً ، ونوعاً . فهل سنعيد دورته من جديد ؟ سأمرنا لله - فلنبدأ اذن !

١ - الماركسية :

تعتبر الماركسية في نظر الكثيرين ، واحدة من أهم أنساق النتاج المعرفي للعقل الانساني حتى وقتنا الحاضر . وموقعها الرفيع هذا لاتشهد له علوم الفلسفة والاقتصاد والاجتماع ... الخ ، وحسب بل وحتى أعداؤها الأيديولوجيون والسياسيون من مختلف المشارب والانتماءات .

والحال ، فان ميزة هذه الماركسية (كما سماها الورثة) لاتكمن في تفسير العالم وشرحه بل بالدعوة السياسية لتغيير هذا العالم ، وصنع عالم بديل أكثر عدلاً وانسانية . ولتحقيق هذا الغرض ، هجر التلمذي ماركس / انجلز صومعة النظرية الى ميادين الممارسة ، وأسسا مع آخرين (الحزب الشيوعي) باعتباره أداة التغيير المأمول .

في هذا المقام ، لانود تقديم دراسة حول الماركسية ، ولافيما انتجته في ميادين

الفلسفة والاقتصاد أو سواه ، حسبنا أن نلقي ضوءاً على الكيفية التي تعاملت بها الحركة الشيوعية مع هذه الماركسية على امتداد قرن ونيف .

فمن المعروف أن الورثة ((الشرعيين)) لها قد حولوها الى ((نظرية كاملة غير منقوصة)) ، وشرعوا في تبويبها ، ووصفها ، وشرحها ، ونسخها ، والدفاع عنها كلما تقدم ناقد أو باحث أو سياسي ((مغامر ، مرتد)) ، وتجرأ على مسّها نقداً أو تطويراً أو إضافة ... الخ . ومع مضي الزمن تقوقعت وهلبت ، ثم تحولت الى مايشبه ديناً أو مذهباً ينتشر أنصاره في أربع جهات الأرض ، يرددون نصوصاً حفظوها أكثر مما فهموها ، وتباروا في الترويج والدعاية لها ، دون أن ينظروا أو يكترثوا لعوامل التغيير أو لصحة أو عدم صحة مقولاتها ومطابقتها مع الواقع الملموس في هذه الدرجة من تطور هذا المجتمع / الأمة ، أو تلك ، بل العكس كان صحيحاً ، ففي الكثير من الحالات جرى فيها ((تفصيل)) الواقع ذاته على ((مقاس النص)) أو مقام النظرية ، التي انتهت مع العالم وبه الى نهاياته المعرفية .

وهكذا تحول ((الفقهاء)) الماركسيون الى كهنة أو رجال دين همهم الأساسي ((القيام على حدودها)) . وتحولت معهم ((نظريتهم)) الماركسية (!) الى دين مقدس ، دأبوا على حفظه والتفقه به ، وتلقينه للأجيال ، وفي أحسن الحالات - لكي لانظلمهم - سمحوا بـ ((الاجتهاد ، إلا ما جاء به نص)) ! . خلافاً وتناقضاً مع علم الجدل الذي تفخر به الماركسية على سواها من الفلسفات .

هذا ((الفقه والاجتهاد)) ، الذي اضطلع به هؤلاء العتاة (السياسيون ، والايديولوجيون ، والحزبيون ... الخ) ، أفسح في المجال واسعاً الى ((تأليف)) أكداس من الشروح والتفاسير ، والنسخ ، والاصدار لما صار يعرف عندهم بـ ((ادبيات الماركسية)) أو بـ ((العلم الماركسي - اللينيني)) ، في حين لايعدو كونه كتابات مبتسرة ومتخلفة من الآراء حول الماركسية ، غلّب عليه الطابع الدعائي المكرور على مدى يقود من الزمن ، في الوقت الذي انهالت فيه هذه الأكداس ((الماركسية)) على النتاج الثقافي القيم لأولئك الماركسيين الحقيقيين ، الذين بذلوا جهوداً فردية مضنية حتى استطاعوا أن يخترقوا الحصار ، ويرى النور انتاجهم الهام ، الذي أدركنا اليوم قيمته ... (بعد زلزال الهزيمة) .

وأخيراً ، فاننا لانريد بما قدمنا له أن نجلد الذات والتاريخ - انتقاماً من الهزيمة - على الرغم من حدة الطرح أو قساوة التعبير . فما حدث ماثل أمامنا . والميراث ميراثنا بخيره وشره ، ولا بد لنا من المساهمة الفعالة والهادفة مع الآخرين في قراءة ((التجربة)) وتقييمها ، اذا أردنا الدخول في الزمن .

اليوم تعود الماركسية الى ((الواجهة)) من جديد - بعد أن نفضت عنها الغبار - بوصفها ارثاً انسانياً عظيم القيمة والأثر، جذبت اليها ملايين البشر، الذين حلموا ، ومازالوا - بعالم الحرية والعدالة والأمن ... عالم الغد ، استغلال الانسان للانسان .

ومع اعتبارنا الفكري والوجداني لتراثها واسهاماً في النقاش الواسع النطاق الجاري في أيامنا هذه أن نطرح أسئلة أولية ، قبل أن نبدأ الحوار :

١ - هل الماركسية نظرية علمية ، أم منهج علمي في التفكير ؟!

٢ - ما هو مدى صحة مقولات جاء بها التوأمي ماركس / انجلز ؟! من مثل : الدولة ، الدين ، ثورة وديكتاتورية البروليتاريا ، الخط الواحد للتطور ، ... الخ ؟!

٣ - هل الاقتصاد هو المحرك الوحيد للتاريخ ؟

أبو حسين

... يتبع ...

أفكار أولية على طريق المقاربة بين الشعار واحتياجات الواقع

لاشك في أن اللينينية تتضمن بعض الجوانب الفلسفية ولكن لينين كان أساساً قائداً سياسياً استطاع انجاز أول محاولة لبنا ء نظام اشتراكي ،يسعى الى الغا ء استغلال الانسان للانسان ،وتأمين الشروط المادية لتطوره وابداعه . هذا على مستوى الحلم والشعار . من هذا المنطلق يمكن النظر الى اللينينية . فهي احدى تعبيرات الحركة الثورية في القرن العشرين ليست ذات صفات مطلقة وليست أية رؤية نقدل مايمكن أن ننطلق منه وننظر اليه سوا ء على المستوى التنظيمي أو الفكري أو السياسي . ان أي فكر سياسي يجب أن يؤخذ استناداً الى الظروف التي أحاطت به وحددت استنتاجاته وآفاقه . لذلك يجب أن نفهم الظروف التي حكمت روسيا ماقبل الثورة ومابعدها لكي نقيّم أفكار وطروحات لينين ونحكم بالتالي اذا كانت تلك الظروف مشابهة لظروفنا أم لا ، وعلى هذا الأساس نحدد موقفنا من اللينينية كلياً وجزئياً أيضاً .

كما أنه يجب النظر الى النتائج التي آلت اليها ثورة أكتوبر موضوعية قبل أن نطلق حكماً على تلك التجربة / المرحلة . فالفكر السياسي لا يؤخذ بمعزل عن التجربة الحية . فهو ليس أحلاماً وشعارات ،وانما بنى محققة وملموسة . وعليه لايمكن اعتبار أن كل ماجا ء ت به اللينينية كان صحيحاً والخطأ كان بما جا ء . عليه التنفيذ ،والمسؤول الأساسي عن ذلك هو ستالين . ان الستالينية امتداد للينينية التي شكلت تربة صالحة لنمو بذورها ، وان اعتبار الخطأ في البشر وليس في النظرية يجعل الفكر حالة دينية أكثر مما هو فكر خاضع للنقد والتطوير والتغيير .

لقد نشأت الحركة الشيوعية العالمية ((الأممية الثالثة)) ،وبالأخص الأحزاب التي نشأت في آسيا وأفريقيا عبر الارتباط والدعم المقدم من الجنوب الشيوعي الروسي الماركسي - اللينيني . ولقد استطاعت هذه الحركة المساعدة على تحقيق بعض الانجازات الكبرى في التاريخ كتحرير البلدان المستعمرة من الاستعمار الاستيطاني واطلاق الطاقات الثورية والخلاقة للجماهير في مراحل معينة واشراكها في العمل السياسي ولكن ذلك التقدم نحو الأمام لم يستمر وحصلت انتكاسات وهزائم سريعة للحركة الشيوعية العالمية نتيجة أخطا ء بنيوية في الفكر الذي قادها ونظّر لها ،الى جانب الفعل المعادي الداخلي والخارجي .

فالحركة الشيوعية العالمية ((الأممية الثالثة)) ارتبطت بالفكر الروفيتي وبالصالح

السوفيتية مما أدى الى نتائج كارثية في الكثير من المناطق . وقد تم تصدير النمط السوفييتي في الفكر والممارسة الى أحزاب هذه الحركة في العالم .

ان النمط الذي بني في الاتحاد السوفييتي نتج عن تداخل التنظيرات التي طرحها قادة الثورة مع الظروف الداخلية والخارجية التي حكمتها . فقادة الثورة كانوا يؤمنون أن انتصار الاشتراكية في روسيا / الحلقة الأضعف في النظام الرأسمالي / سيكون بداية الثورة البروليتارية العالمية في البلدان الرأسمالية الأوربية . لذلك كان لينين يرى أنه بالرغم من تخلف روسيا، فإن انتصار الثورة فيها سيفتح الطريق أمام انتصار الثورة في البلدان الرأسمالية المتقدمة ، والتي ستؤدي الى توحيد البروليتاريا الأوربية ،ونقل الخبرة والتكنولوجيا والثقافة من تلك البلدان الى روسيا الفلاحية المتخلفة . فأنا أعتقد أنه لم يكن يتخيل أن الثورة سوف يجري حصرها في بلد متخلف كروسيا والآ لما أصر على ضرورة الانتقال من ثورة شباط البرجوازيه الى ثورة أكتوبر الاشتراكية . ولما اعتمد وطور فكرة الحزب الطليعي والانضباط الحديدي بعد ثورة ١٩٠٥ الفاشلة وأكد على أهمية المركزية الديمقراطية في بنا ء الحزب الشيوعي الروسي . فهو كان مؤمناً بامكانية تجاوز مرحلة التطور الرأسمالي في روسيا عبر استلام السلطة السياسية والقيام بعملية مركزة للاقتصاد والسياسة بيد السلطة التي يمسك بها الحزب وعبر الدعم الذي سيأتي عند انتصار الثورة في البلدان الرأسمالية المتقدمة .

بالتأكيد ان النمط الهرمي والمركزي لبنا ء الحزب لم يكن بالشكل الذي آل اليه . فالحزب ماقبل الثورة ومابعدها حتى عام ١٩٢٢ كان يحتوي على منابر وتيارات والخلافات كان يعبر عنها بصحافة الحزب العلنية أحياناً . ولكن المركزة نمت وتطورت من خلال الأسس التنظيري المرتبط بالمركزية الديمقراطية ،ومن خلال ظروف الحرب الأهلية التي اقتضت مركزة القرار وتعبئة الجماهير لمواجهة أعدا ء الثورة داخلياً وضد الجيوش المعتدية خارجياً، وكذلك فرض سلطة الحزب الواحد والغا ء أحزاب المعارضة والصحف المستقلة والحياة السوفييتات والنقابات كلياً بالحزب وضرب المعارضة العمالية والفلاحية وتحرك البحارة ،والقيام بعمليات تطهير كبيرة داخل الحزب . كما أنه ضمن هذه الظروف بدأت فكرة تصدير الثورة على أسنة الحراب عندما حاول الجيش الأحمر احتلال بولونيا وفرض نظام اشتراكي فيها حيث كان مصيره الفشل وأرغم على الانسحاب ،الجيش الأحمر احتلال جورجيا وفرض نظام سوفييتا تابع لروسيا ضارباً عرض الحائط بمبدأ حق الأمم في تقرير مصيرها . كل ذلك جرى أثنا ء وجود لينين على رأس السلطة . وعندما استلم ستالين السلطة فقد دفع بالأمور الى أقصاها عبر تصفية كافة أشكال التعددية في الحزب والمجتمع وبنا ء دولة شمولية استبدادية مارست

أبشع أنواع الاضطهاد والقسف والمركزة على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ومن ثم قام باقتسام أوروبا وفرض نظم موالية للاتحاد السوفييتي بعد الحرب العالمية الثانية وربط أحزاب الأممية الثالثة بالخط والمصالح والرؤية السوفييتية .

اننا كحزب حاول الفكاك من المنظومة الفكرية والسياسية والتنظيمية السوفييتية عبر طروحاته الاستقلالية ، لم يستطع أن يشكل قطيعة معرفية مع هذه المنظومة على طول الخط وفي كافة المسائل الفكرية والسياسية والتنظيمية بحيث تشكل منهاج عمل يستند اليه الحزب في مواقفه وفهمه للواقع والمصالح الوطنية والقومية .

فالفكر التنظيمي الذي مورس ونُظِّر له بعد الانقسام لايختلف كثيراً عن المدرسة القديمة . فقد استمر على نفس المنوال من الفردية والتفرد بالقرار والتكتكة ، وقد زاد الطين بلة الظروف القمعية التي تعرض لها المجتمع والحزب ، مما فرض حالة طوارئ داخل التنظيم تعطلت فيها الحياة الداخلية وجُمِّد العمل بالنظام الداخلي بحسناته وسلبياته ، مما أفسح المجال بشكل كامل لالغاء الديمقراطية والحوار والعقل الجماعي وأحل محله عقل فردي لايستطيع سماع إلا صوته ولا يبحث الا عن مرآة يرى فيها نفسه وكل مايجري يمكن تبريره بالظروف الأمنية التي أصبحت شماعة تعلق عليها كل شيء .

على صعيد الفكر السياسي ، شكل طرحنا الديمقراطي بداية قطيعة مع الفكر الشيوعي السائد الذي يرى القطاع العام ورأسمالية الدولة على أنها الاشتراكية أو الطريق نحوها . ان فكر الحزب ظل يتأرجح بين الفكرة الديمقراطية بمعطاها المحقق في الدول الرأسمالية / صحافة مستقلة ، حرية أحزاب وتجمع وإضراب ، سيادة القانون ، استقلال القضاء ، استقلال السلطات ، م وبين ادانة للنظام البرلماني البرجوازي ، كونه لايجسد مصالح الفئات الشعبية أو على أنه ديمقراطية شكلية زائفة . وبنفس الوقت التثمين الايجابي لما حققته الدول الاشتراكية ، على صعيد تأمين حاجات الأفراد من مسكن - طبابة - تعليم ... الخ . على أنها تعكس الديمقراطية الحقيقية الملموسة ، فهي تعكس المصلحة العامة بينما الديمقراطية الغربية تؤمن المصالح الخاصة .

كما أن مطلب الديمقراطية السياسية لم يتم سحبه على الجانب الاقتصادي . فمسألة التعددية السياسية لم ولن تتحقق في ظل نظام يعتمد آلية رأسمالية الدولة ، حيث تسيطر الدولة على كافة مناحي الحياة الاقتصادية والسياسية والتنظيمية . ان التعددية كانت وليدة تطور المجتمع الرأسمالي ونضالات الطبقة العاملة فيه ، وقد ارتكزت على التعددية والحرية الاقتصادية . والتجربة الانسانية لم تفرز حتى الآن شكلاً أرقى من التجربة الديمقراطية

المحققة في الدول الغربية • صحيح أنها لاتشكل سقف الحلم الانساني بالحرية والعدالة والمساواة ،فهذا الحلم المشروع كان وسيبقى ،ولكننا عندما نتحدث عن الفكر السياسي نتحدث عن الواقع والتاريخ • لذلك من المطلوب أن نقبل وبدون تردد الشكل الاقتصادي المباشر ذو الديمقراطية الذي يضمن ويساعد على استثمار رؤوس الأموال الخاصة وبنا • قاعدة صناعية انتاجية ، ويساهم في عملية التطور الرأسمالي بكل مافيه من تمدين وتحديث للمجتمع • بالتأكيد لن نكون حزب البرجوازية ،ولن ندافع عن مصالحها ،نحن سنبقى حزباً يعبر عن مصالح وتطلعات الفئات الشعبية والمثقفة الديمقراطية في المجتمع ،ونعمل على تحسين شروط العمل والعيش لهذه الفئات ،والسعي لبنا • عالم أكثر عدالة وأكثر عقلانية وصولاً للمجتمع الاشتراكي المنشود • ولكن حسب قناعتي لا بد من المرور في آلية الانتاج الرأسمالي التي تخلق حالة من المنافسة والانتاجية واحترام الكفا • ات واحترام قيم العمل والزمن ...الخ • هذا لايعني ان الدولة كمنظم للمجتمع ليس لها دور على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي ،بالتأكيد ان للدولة في المجتمعات النامية دوراً كبيراً في عملية التنمية ،والتي لاتعني أنها ذات نمط انتاج اشتراكي • فالدولة يجب أن تأخذ دورها في عملية التنمية الاقتصادية والضمان الاجتماعي. فعلى الصعيد الاقتصادي يجب أن تحل الدولة في النشاطات الاقتصادية التي يتجنب القطاع الخاص الاستثمار فيها بسبب حاجتها الى تمركز كبير لرؤوس الأموال ،كاستثمار الثروات الباطنية والنقل الجوي والبحري وسكك الحديد والطباعة والتعليم ...الخ •وللدولة دور كبير في آليات توجيه رؤوس الأموال الخاصة باتجاه أنماط انتاجية معينة أو باتجاه المناطق النائية عبر التسهيلات المصرفية والاعفا • ات الجمركية والسياسة الضريبية وسياسة الحماية للصناعات الوطنية • وكذلك تدخلها في السوق المالية لتحسين صرف العملة الوطنية ...الخ وهذا نراه في كافة البلدان الرأسمالية • فمسألة دور الدولة الاقتصادي لا يتعلق بقضية الاشتراكية • انها مسألة تتعلق بالتطور الكبير الذي حصل حول مفهوم الدولة ودورها على صعيد تأمين ضمانات للمجتمع والأفراد وكذلك ضبط آلية الانتاج الرأسمالي وتصريف أزماتها • وهنا تبرز مسألة اعادة النظر بمفهوم ماركس حول الدولة وتطورها باتجاه التلاشي بعد بنا • المجتمع الاشتراكي •

ان المهام المطروحة حالياً ليست بنا • المجتمع الاشتراكي • فالمهام المطروحة هي بنا • المجتمع المدني كفعاليات ومؤسسات وطاقات منتجة وبنا • دولة الحق والقانون المرادفة له • لذلك فان كل مايصب في هذا الاتجاه يجب تأكيده ودعمه ،بعدها يمكن الحديث هل سيتجه هذا المجتمع نحو الاشتراكية أم لا • ان مقولة تداخل مهام الثورة الوطنية

أو القومية الديمقراطية مع مهام بنا • الاشتراكية هو تنظير سوميتي يستند الى اطروحات وتوجيهات الأممية الثالثة التي لم تستطع اختراق المعسكر الرأسمالي فوجدت في حركات التحرر الوطني حليفاً طبيعياً لها فتوجهت اليها • أعتقد أنه من الأفضل انجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية بعيداً عن الشعارات الاشتراكية المصدرة والتي تجسدت بتحويل الدولة الى أسوأ رب عمل يتم من خلاله استغلال ونهب البلاد لصالح فئات من المرتزقة والطفيليين • وفي هذا السياق تندرج مسألة تقييم التأميمات التي حصلت عندنا ومسألة سيطرة الدولة على كافة المفاصل الاقتصادية ،هل كانت خطوة الى الأمام أم الى الوراء ؟!!

يضاف الى ذلك أن الرأسمالية كنظام انتاجي حالياً هو النظام أو النمط الوحيد السائد عالمياً • وما سيبنى في بلادنا لن يكون خارج النمط الرأسمالي • ولكن السؤال الأساسي كم ستكون نسبة التبعية للرأسمال الخارجي • وهنا يتحدد دور الدولة الوطنية في حماية الفئات الشعبية ورؤوس الأموال المحلية ذات الطابع الانتاجي ودفعها باتجاه النمو والفكاك من ارتباطها الكامل بالخارج ،وتحسين شروط التبادل مع ذلك الخارج ،وتوجهها نحو الشيء دول العربية ودول الجنوب لايجاد محور قوى تتمايز مصالحه عن مصالح رؤوس الأموال الغربية.

ان المسألة الأساسية هي موضوع التنمية على الصعيد الاقتصادي وبنا • الدولة ومؤسساتها واعادة الاعتبار للمجتمع المدني ومؤسساته من أحزاب وجمعيات ونقابات على الصعيد السياسي والاجتماعي • كل هذا بعيداً عن الأيديولوجيا والتصنيفات المسبقة •

استناداً الى ماتقدم فاني أرى ضرورة تغيير اسم الحزب فهذا الاسم جزء من العقل صدر الينا وهو جزء من ميراث ارتباطنا بالأممية الثالثة وبفكر الحزب الشيوعي الروسي. بجانب ان أسماء الاحزاب عادة ترتبط ببرامجها المرحلية أو القريبة الأمد وليس بشعاراتها التي لايدري الا الله متى ستتحقق • يضاف الى ذلك أن حفاظنا على اسم الحزب بعد كل الهزائم التي لحقت بالحركة الشيوعية العالمية يجعلنا نتحمل أعباء أكبر من طاقتنا لشرح وجهة نظرنا واظهار اختلافنا عما كان سائداً •

كما أنني أرى ضرورة الغاء تعريفنا بأننا حزب ماركسي — لينيني واعتبار الماركسية واللينينية أحد مصادر المعرفة • فالتجربة الماركسية — اللينينية المتحققة رحمها الله والمطلوب هو اعلان وفاة وتشييع وليس احياء • وبعث من بين الأموات • انها جزء من تراث الحركة الثورية في العالم ويمكن الاستفادة منها • ان التجربة والعلوم والمعارف الانسانية قد توصلت الى درجة هائلة من التعدد والتعقيد ،لايمكن حصرها ضمن نظرية مغلقة • وعلى هذا الأساس فان الماركسية هي منهج معرفي نرتكز عليه ،ولكنها ليست المدرسة الوحيدة التي نتبع

المنهج العلمي في تحليل وفهم الواقع، لذلك لنا الحق في الاستفادة من كل المناهج والمدارس الأخرى لكي نجيب على أسئلة الحياة . واللينينية تجربة سقطت يمكن أن نستفيد منها ولكننا غير ملزمين بها .

كما أن الفكر الديمقراطي يجب أن يتم تثبيته على طول الخط وليس فقط كمطلب سياسي كوننا في المعارضة . هذا يعني أن نكرس الديمقراطية داخل الحزب قبل أن نتطلع للمطالبة بها على صعيد المجتمع . فلا يمكن أن نكون صادقين في تبنينا للديمقراطية والمطالبة بها اذا كنا نخاف من تعدد الآراء والمنابر داخل حزبنا . يجب أن نوجد ونكرس نواظم وقواعد للتعددية والاختلاف داخل الحزب ، فهي الأساس لبنا ، عضو الحزب على أساس ديمقراطي ، بحيث يقبل بوجود الآخر ويحترم رأيه ويعرف كيف يختلف معه لا أن يعتبره عدواً . هذا هو الأساس لكي نكون مقنعين للجماهير بأننا فعلاً ديمقراطيون لاندعي ذلك ادعاء .

كذلك يجب اعادة النظر في تعريفنا للحزب بأنه حزب الطبقة العاملة . هل هذا التعريف واقعي أم استراتيجي ؟ وهل هذا التعريف نحدده نحن أم تحدده الطبقة العاملة ؟ وقبل ذلك يجب أن نعرف من هي الطبقة العاملة التي نمثلها وماهي ظروفها ؟ وما هو تعدادها بالنسبة لمجموع المجتمع ؟ وماهي نسبتها في تركيب جسم الحزب ؟ . ماهو حجمها السياسي في الواقع السوري ؟ أسئلة كثيرة بحاجة الى اجابة ، وليس بغير الحوار يمكن الوصول الى تلمس اجابات . عن هذه الأسئلة ، وهو ما ندعو اليه ونفتح له باباً من خلال هذه المادة وما جاء فيها من أفكار .

موفق

بعض الأفكار حول أزمة العمل السياسي في البلاد

لا جدال أن الحياة الحزبية و العمل السياسي في بلادنا في وضع يائس و أزمة شاملة و بكل المعايير و على جميع المستويات . و ليس سرا أن أحزابنا تواجه جميعها و من دون استثناء أزمات داخلية ، و ان تكن صيغ الأزمة تختلف بين حزب و آخر ، تتجلى في اعادة النظر في خياراتها الفكرية و السياسية و أشكالها التنظيمي و صلتها بالقاعدة الجماهيرية الأوسع . ففي زمن الانعطافات الحادة تخضع كل الموضوعات للمراجعة و إعادة التقييم بما في ذلك النظريات الثورية الكبرى . و كلما تجرأ العقل تحرره من الأحكام المسبقة تجاه مجريات الأحداث و الوقائع و التاريخ يستطيع مقاربة و عي أكثر مطابقة ، يعطينا معرفة أكثر دقة للواقع .

هناك عدد من القضايا و الأسئلة تفرض نفسها عند أية مراجعة للعمل السياسي و الوطني في بلادنا لا بد من وضعها على طاولة الحوار الجدي و العقلاني و تعميق هذا الحوار بين كل المهتمين و الباحثين عن مخرج للأزمة التي يعيشها العمل السياسي و الوطني في الوطن .

ان تبدلا جذريا أصاب الوعي السياسي العام و من ثم العمل السياسي في البلاد ، تحوله جذريا عن أغراضه و أهدافه الأصلية و وضعه في خدمة النظام و السلطة السياسية . فالنظام وضع يده على الحقل السياسي القائم برمته باعتباره حقل سلطة و حشد ، و وضع الأحزاب السياسية في البلاد أمام خيارين لا ثالث لهما .

الخيار الأول : العمل من خلال النظام و تحت مظلته ، و من خلال الحزب الحاكم أو أحزاب الجبهة الوطنية . و قام بتفريغ هذه الأحزاب من العمل السياسي و حولها الى مؤسسات سلطوية ليس لها دور أو أي نشاط سياسي ، مما أدى الى ابتعاد [illegible] عن الشارع و النخب . و تحول قادة و كوادر هذه الأحزاب إلى موظفين بيروقراطيين مستفيدين من فتات ما

يتكرم به النظام عليهم .

الخيار الثاني : المواجهة غير المتكافئة مع النظام و من ثمن السجون و الملاحقة و المنافي للقوى السياسية التي رفضت العمل من خلال السلطة ،في هذه المواجهة غير المتكافئة لم تستطع هذه الأحزاب الصمود و هزمت من المعركة الأولى و خرجت من الشارع الوطني إلى السجون و المنافي .

لم تقتصر السلطة بالغاء السياسة على الأحزاب السياسية ،و إنما طالت حتى الأفراد المهتمين بالشأن العام و العمل الوطني،و أصابهم ما أصاب الأحزاب ،كما طالت جميع مؤسسات المجتمع المدني الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و حتى الدينية .

أمام غياب السياسة و تدمير المؤسسات الاجتماعية و الثقافية و السياسية للمجتمع المدني وجد الناس أنفسهم في حالة عطالة و فراغ و بدأت تتشكل مفاهيم و عادات و معتقدات و ثقافات جديدة في المجتمع و خاصة في جيل الشباب ،و عاد قسم كبير من المجتمع إلى الماضي ، و بدأ البحث عن حلول لواقعه الراهن في التاريخ و غرق في الموروث الاجتماعي ليعود إلى طائفته أو عشيرته ،كبدائل عن مؤسسات المجتمع المدني المفقودة ،مما أدى الى تعميق الانقسام العمودي في المجتمع ، هذا الانقسام الذي يشكل أرضية مناسبة للتدخل الخارجي ، و تفجير صراعات و حروب أهلية عندما يحتاج الخارج لذلك ،فما يجري في يوغسلافيا و أفغانستان و القارة الأفريقية يدق ناقوس الخطر في كل بلدان العالم الثالث و منها بلادنا .

ان مسألة الديمقراطية أصبحت مطلب جميع العاملين بالحقل السياسي و المهتمين بالعمل الوطني ،لكن للأسف و حتى الآن لم تتحول قضية الديمقراطية إلى قضية جماهيرية ،و بقيت ضمن النخبة السياسية ،و السؤال الذي يطرح نفسه هنا ،لماذا هذا الفصل بين النخبة السياسية و مشروعها الديمقراطي و جماهير الشعب؟هل هذا الفصل مرتبط بعجز النخبة

عن إيجاد خطاب أو لغة تفاهم مع الناس؟أم أنه مرتبط بشكل أساسي بغياب العمل السياسي العلني و المشروع؟هل المشروع الديمقراطي يمكن أن يتحول إلى مشروع عمل جماهيري حين تكون السياسة ذاتها ممنوعة و مستحيلة ؟

ازاء هذا الواقع لا يمكن الاحتفاظ بالامكانات الذاتية للأحزاب و القوى المهتمة بالعمل السياسي الوطني أو تطويرها ،و لا الاعتماد على الجماهير التي تفقد ثقتها بالأحزاب و بالعمل السياسي نفسه ،الا في بلورة أساس سياسي ،وطني و واقعي ،يحكم و يرشد وجهتنا السياسية في التماطي الإيجابي مع الأحداث و تأسيس منهج سياسي جديد في الواقعية الوطنية .

من أهم القضايا المطلوب من الأحزاب و القوى السياسية و المهتمين بالعمل الوطني مراجعتها ،العلاقة بين الشعارات و إمكانات الواقع ،فقد تبين أن القوى السياسية في بلادنا يغريها الشعار حتى لو لم تتوفر إمكانات لتحقيقه ،بينما الواقع يحتاج إلى خطاب سياسي يقول ما يجب قوله في المكان المناسب و في الزمان المناسب ،بحاجة إلى عمل سياسي يطرح من الشعارات ما تملك من قوى موضوعية و ذاتية لتحقيقه . فالخطأ الرئيسي في الفكر و الخطاب السياسي لدينا ،بدأ بوضع ما ينبغي أن يكون ،دون أن نبحث و نحلل و نعرف ما هو ممكن و ما نستطيع أن نحققه . الخطاب السياسي لدينا ،و لدى كل القوى على ساحة العمل السياسي في الوطن ، خطاب إنشائي حماسي يتعامل مع العموميات ،يطرح دائما سؤال ما العمل قبل أن يطرح أسئلة عن الأزمة التي نعيشها ،و عندما يطرح سؤال ما العمل يجيب على ما يجب أن يكون أو الرغبة فيما يجب أن يكون ، و حتى عندما يطرح الأسئلة عن الأزمة ،ليس المهم دراسة الأزمة و الأحداث المرتبطة بهذه الأزمة إنما المهم الموقف من الأزمة و الأحداث المرتبطة بهذه الأزمة ،بينما العبرة في عالم السياسة دائما بالأحداث لا الموقف

فالأزمات تتراكم و الأحداث تتغير و الخطاب السياسي لدينا صامد لا يتغير و لا يتبدل ، يحلق عاليا فوق الواقع و لا يرى الا الهدف .

الا يوجد خيارات للعمل السياسي خارج الخيارين اللذين وضعهما النظام ، و وضعنا نحن أنفسنا فيهما أهل السياسة كما تعامل معنا النظام و كما تعاملنا معها ؟ أهي صراع على السلطة فقط ؟ هل النشاط السياسي و وظيفته محدودة داخل هذه العلاقة الوحيدة ؟ أي العلاقة بالسلطة .

السنا اليوم في وضع يسمح أو يتطلب طرح وظيفة العمل السياسي بطريقة أخرى و من زاوية أخرى خارج السلطة و خارج المعارضة السياسية فقط للسلطة ؟

العمل السياسي اليوم و ضمن المتغيرات الدولية و الإقليمية و الظروف التي تمر بها بلادنا يحتاج إلى فرض وجوده و نشاطه داخل المجتمع المدني . و لم يعد من الممكن مواجهة القمع الشمولي على صعيد العمل السياسي نفسه ، و ذلك أن السلطة سدت عمليا كل منافذ العمل السياسي . و لا بد من العودة الى احياء البنى الاجتماعية المدنية في المجتمع ، لتكوين القوى الحية التي سوف تشارك في المستقبل في العملية السياسية .

هذا العمل يحتاج الى معارضة سياسية علنية مشروعة و لو بالحد الأدنى ، و هنا نصل الى السؤال الأهم : كيف تستطيع القوى الوطنية الديمقراطية الوصول إلى عمل سياسي علني و مشروع من دون الصدام الشامل مع النظام و من دون أن تلغي نفسها كقوى مستقلة ؟ الجواب عن هذا السؤال و العمل على تحقيقه يضع العمل السياسي الوطني في بداية الطريق الصحيحة .

عدنان ناصر

- حول برنامج الحزب الثوري -

تحمل المرحلة التاريخية التي نعيشها ببكة معقدة من التناقضات و التباينات على كافة الصعد ، الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية و الثقافية و الايديولوجية ، و لهذا يبدو موضوعي منذ البدء حاسما لمفهوم يستدعي الجدل و هو مفهوم الحزب الثوري ، و مدى مصداقية هذا المفهوم في حقبة الانهيارات العامة التي نعيشها اليوم على صعيد القوى الحالمة ببناء مجتمعات أكثر عدلا و أكثر انسانية .. إلا أنني سأتكلم هنا حول برنامج هذا الحزب الثوري و لا بد أن يتم تناول مفهوم الحزب الثوري في مرات قادمة ....

و برنامج الحزب الثوري حسب تصوري .. هو مجمل التصورات و الوسائل و الطرائق و التكتيكات التي يمكن أن يمارسها الحزب في مرحلة زمنية محددة حتى يتمكن في حال انجازه لها أن ينتقل الى مرحلة زمنية أخرى تقربه من انجاز مشروعه الثوري ..

و على هذا فان برنامج الحزب لا بد أن يكون مستندا الى خطه السياسي الذي بدوره يكون منبثقا من استراتيجية و ايديولوجيته ..

وفي هذا السياق ليس من الضرر بمكان أن نسأل الأسئلة التالية ..

- متى يمكن أن يصبح حزبنا حزبا جماهيريا ؟
- متى يمكن أن نمتلك برنامجا ثوريا صحيحا ؟
- متى و كيف يمكننا أن نحقق أهدافنا التكتيكية و الاستراتيجية ؟
- متى يمكننا أن نحقق حلمنا الثوري .. ؟

انها أسئلة كبيرة و لكن لا بد لنا من الاجابة عنها .. و في اعتقادي ان مجرد محاولة الاجابة عنها و دفعها الى حيز المناقشات و الجدل ، انما يعبر عن ظاهرة صحية في وعينا السياسي ، فلتكن صفحات نشرة حوارات مؤلا لهذه الظاهرة الصحية و تجسيدا لحالة ديمقراطية نحن بأمس الحاجة اليها ...

أما بخصوص البرنامج، فانني أرى أنه لكي نمتلك برنامجاً أولا .. و صحيحاً ثانيا أي برنامجاً يحمل امكانيات تنفيذه في واقعنا المجتمعي، ينبغي علينا أولاً أن نمتلك الأداة التي يمكنها أن تحدد و ترسم هذا البرنامج .. هذه الأداة إن هي إلاّ الوعي السياسي المطابق و الخلاق ....

و نحن في حزبنا، أعتقد أننا بحكم المرحلة التاريخية التي مررنا بها، و لأسباب تراثية و ثقافية و عالمية خارجية و داخلية، لم نمتلك في الماضي هذه الأداة، و التي لو فعلنا اكنا اليوم نعيش حلمنا الثوري .. ان أداة الوعي التي نطلبها علينا نحن أن نخلقها و ذلك بتفجير الطاقات الكامنة في ذواتنا . و هو لن يحدث ما لم نغير أطرنا التنظيمية على أسس ديمقراطية حقيقية تحرر عقولنا من عادات الاسترخاء و الامتثال و الارتهان للمركز أو للآخرو من الخجل و الخوف و عقد النقص المختلفة ..

ان ذاتا سياسية واعية ستتمكن أولاً من خلق برنامج صحيح مطابق لواقع مجتمعنا و قابل للتنفيذ أي واقعي .. و ثانيا ستتمكن من خلق آلية لتحقيق هذا البرنامج و أن تجعله في قبضتها الواعية بغاية الوصول الى الخطوط الاستراتيجية في الطريق الى المشروع الثوري ..

ان إخفاقاتنا في الماضي ينبغي أن تكون دروسا مفيدة لنا نأخذ منها ما كان ايجابيا و ندرك فيها ما كان سلبيا ساهم في عملية الاخفاق . لقد كانت الماركسية اللينينية بالنسبة لنا كثيوغيين النظرية الثورية الحتمية، فتولدت لدينا قناعات أصبحت أشبه بالمسلمات العلمية و أن نمتلكها أو نحفظها و أن نسقطها على الواقع اسقاطاً ميكانيكياً و نراه من خلالها حتى يتحقق حلمنا الثوري .. !

ان المتغيرات العالمية تجعلنا ندرك أن الانسان الحر هو خالق النظريات و الثورات و أن النظرية ما هي إلاّ دليل عمل له .. و هذا ما عبر عنه أصحابها .. و نحن في خضم المعركة المحتدمة بين أنصار العدل

و أنصار الاستغلال و في خضم المحاولات الجارية لانهاء أو تفريغ هذه النظرية من جوهرها الثوري ،و بالتالي إعدامها ،نرى أنه من الصحيح بمكان أن نشارك في عملية البحث و التمحيص التي تجرى في ساحة كل الماركسيين من أجل البقاء و بأسلحتنا العلمية في خندق طلاب العدل و خير الانسان ...

و عليه فانه لا يكفينا أن نمتلك الأداة الواعية و البرنامج المطابق ،بل ينبغي أن نمتلك أيضا الآلية الصحيحة التي تساعدنا على أن نعيش هذا البرنامج بمعنى أن نمتلك آلية تنظيمية تدرس البرنامج دراسة معمقة أولا و تعمل على تطبيقه في الواقع ثانيا .. و مسألة العمل على تطبيقه ليست بالمسألة السهلة و كذلك ليست بالمسألة المستحيلة .. ان ذاتنا الواعية سترشدنا كيف نخلق هيئات يمكنها أن تراقب أثر تطبيق هذا البرنامج في الواقع و مدى فائدة هذا الاثر في خدمة تحقيق البرنامج للوصول الى الغاية منه .. ان المراقبة المستمرة و الدورية تمكننا من متابعة نمو هذا الأثر أو انحساره .. و تمكننا كذلك من تطوير أو تغيير أو تعديل وسائلنا من أجل الاستمرار في تحقيق البرنامج .. ان المراقبة المستمرة و المراجعة المستمرة .. لمجمل حركة الحزب في تنفيذه لبرنامجه .. تمكن الحزب من القبض على حالة الحركة في الواقع و توجيهها ،و بالتالي تمكن من القبض على الواقع نفسه في مراحل أخرى .. و هذا هو في رأيي منتهى النجاح في استقطاب الواقع و التأثير فيه و بالتالي التمكن من تغييره ...

ان الحالة التي أوردتها ، ليست عصية على التطبيق ،بل هي من صلب التفكير المنهجي العلمي .. و نحن ،كماركسيين و كمنهجيين ،أكثر الناس قربا أو مقدرة على انجاز هذه الحالة .. إلا أننا و للأسف لم نتمكن من تنفيذ ذلك في تاريخنا ...

انني من منطلق الرغبة في امكانية ،بل، و حتمية انتقال الفكرة من حيز الفكرة في الرأس الى واقع الوجود المادي ،و من منطلق ايماني بصحة هذه الرؤية الماركسية ،و من منطلق اصراري في المساهمة في نقل حزبنا من حالته الراهنة الى حالة الفعل و الاستقطاب الجماهيري ... فانني أريد أن أبلور أفكاري في البنود التالية ... لكي نمتلك برنامجاً قابلاً للحياة و التنفيذ و قادراً على تحقيق الغاية منه في العملية الثورية ، علينا ..

١- أن نخلق الأداة الحرة المبدعة ألا و هي الوعي السياسي المبدع و ذلك بخلق أطر تنظيمية حديثة .

٢- أن نمتلك البرنامج المطابق لمواصفات مجتمعنا و القابل لامكانيات التنفيذ و الترجمة في الواقع المعاش .

٣- أن نمتلك الأدوات أي الهيئات و الأطر التنظيمية التي تكون مهمتها السهر على متابعة تنفيذ الحزب لهذا البرنامج و متابعة رصد الأثر الذي يتركه هذا التنفيذ في الواقع ..

و بذلك يصبح الحزب في قلب المجتمع يعيش حركته و تقلباته و تطوراته و يصبح فاعلاً أو مستوعباً حالة الحركة و التأثير و الفعل في هذا الحيز أو ذاك من المجتمع ...

اننا ،و منذ أمد بعيد، نشكو نحن قبل غيرنا ممن لهم مصلحة في عملية التغيير الثوري من حالة العزلة و التقوقع التي تعيشها أحزابنا الثورية .. و قد تدفقت أقلام كثيرة في دراسة هذه الظاهرة المعطلة على مدار السنين الماضية ،و مع ذلك لم تتمكن أحزابنا من تجاوز هذه الأزمة القاتلة ...

ان المستوى الفكري المناسب و الضروري لتحليل و معاينة هذه الظاهرة يساوي شيئاً في تيمه بالنسبة للعملية الثورية ما لم يرافق

ذلك مستوى تنفيذي خلاق يقبض على الواقع و يسيطر عليه و من ثم يغيره .. ان التقاطنا هذه الملاحظات و تمكننا من تلفيقها هي مهمتنا كحزب وهي دورنا كحزب و ليست دور المستوى الفكري ..

فلتكن المرحلة القادمة بالنسبة لنا هي بداية العمل على خلق تنظيم فاعل حقاً و ماركسي حقاً يستفيد من الماضي و دروسه من أجل الفعل في الحاضر لنقله الى المستقبل مستقبل الديمقراطية و التحرير و الاشتراكية التي طال انتظار الأجيال لهـــا ...

بدر

تتمـــة : الصـفحـة الأخيـرة ـ مقتطفـــات ـ

××××××××××××××××××××

وأميـز بيـن نقـديـن : واحـد ضـد أشـكال متجـــددة
مـن الفكـر البرجـوازي ، وآخـر هـو نقـد لما قـد يكـون،
فـي حـركـة انتـاج الفـكر المـاركسـي ، انـزلاقـات
الـى مـواقـع فكـر الخصـم ، فـي شـكلـه الطـائفي
المسيطـر .

من مقدمة كتاب
(في الدولة الطـائفية) للمفكر الشهيـد مهـدي عامـل

والحرب حربان ، حرب لخصمك ،وحرب عليه . وما كان للحرب يوماً ، منطق واحد . وما كان لها جبهة واحدة . فهي في الحرب الأهلية ، شاملة كل الجبهات، وربما كانت في جبهة الفكر أشد شراسة وأشد فتكاً . كأن تفكر ،مثلاً بفكر خصمك . انها ضربة قاتلة . أعني لاغية كل اختلاف به يتميز فكرك من فكر خصمك . وكيف يقوم الفكر ان لم يكن بالاختلاف ؟ والحرب بالكلمات أدهى . وبالكلمات يخربك خصمك حتى يوقع بك، يطربك فيشل فيك قدرة العقل على النقد ،فتستسلم ،إذاك ،لمنطلقات فكره ،يقدمها بداهات بهـا تنزلق الى مواقعه . هكذا يُقيدك فاعلية فكرك ،فتبقى ،حتى في نشاط فكرك المعرفي ،أسيراً لمنطلقات فكره . لذا ،وجب النقد .

× ×

وشرط النقد أن يكون بين الفكر المنقود والفكر الناقد اختلاف . وشرطه أن يمتلك الفكر الناقد أدوات نقده . والنقد انتاج لمعرفة هذا الاختلاف الذي هو ،بين الفكرين ،حد معرفي فاصل بينهما ،اذا اختفى ،انتفى النقد . والحد هذا هو الفاصل في حقل النظر في المسألة الطائفية ، بين الفكر البرجوازي المسيطر ،والفكر الثوري النقيض . فأين يقوم هذا الحد فاصلاً في هذا الحقل بين الفكرين ؟ كيف يظهر ؟ أعني ، في أي شكل مفهومي ؟

× ×

يصعب الجواب . فالحد المعرفي الفاصل ليس مرئياً على مستوى التجربة المباشرة ،أو في حقلها . ليس معطى تجريبياً . انه حد نظري . هذا يعني أن وجوده ليس سابقاً على انتاج معرفته ،بل هو وليد سيرورة هذا الانتاج . فاقامته التي هي ،بين الفكرين ،ضرورية لوجود الاثنين في علاقة اختلافهما ،هي هي سيرورة انتاج معرفته ،وهي هي سيرورة النقد في انتاج معرفة ذاك الاختلاف بين الفكرين . لانكرر ،بل نؤكد أن السيرورة هذه واحدة ،ومعقدة . فاختلاف الفكر الماركسي ،مثلاً ،عن الفكر البرجوازي في حقل النظر في المسألة الطائفية ـ أو في مسألة أخرى كالمسألة الوطنية ،مثلاً ،أو كغيرها ـ ليس سابقاً على النظر في هذه المسألة (أو تلك) ـ كأنه اختلاف بين جوهر وجوهر ،من خارج التاريخ وشروطه ،ومن خارج انتاج المعرفة وشروطه أيضاً ـ بل هو ،بالعكس ، وليد النظر فيها . هذا يعني ،في تعبير أوضح ،أن على الفكر الماركسي أن ينتج اختلافه ،في انتاج المعرفة التي ينتج ،وأن عليه أن يعيد انتاج اختلافه كلما كان عليه أن ينتج معرفة . انه اذن ،في سيرورة انتاج مستمر . كالثورة تقضي ،في سيرورتها المستمرة ،بانتاج معرفة سيرورتها انتاجاً مستمراً . لذا ،وجب النقد ،أيضاً ،مستمراً .